تأسيس مدينة الفسطاط الاثرية

الدكتور طاهر مظفر العميد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يظهر ان النصوص التاريخية تختلف في الطريقة التي توجه بها عمرو بن العاص لفتح مصر ، فبعضها يشير بأن الخليفة عمر بن الخطاب لما فرغ من فتح الشام كتب مباشرة الى عمرو بن العاص ان يسير بجنده الى مصر (١) ويشير البعض الاخر منها بأن الخليفة عمر ، بعد أن تم فتح الشام ، كتب الى قائده ابي عبيدة عامر بن الجراح بأن يوجه عمرو بن العاص بعسكره الى مصر ليفتحها (٢) ٠

وفي رواية لابن عبدالحكم ، يظهر منها ان القائد عمرو بن العاص هو الذي حبب الى الخليفة عمر فتح مصر فقد أشار بأن الخليفة لما قدم الى الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أسير الى مصر وحرضه عليها وقال : انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي اكثر الارض أموالا واعجزها عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ، ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر فعقد له على أربعة آلاف رجل (٣) ، ويشير ابن عبدالحكم في رواية اخرى بأن عمرو بن العاص دخل مصر مع ثلاثة الاف وخمسمائة رجل (٤) ٠

---

(١) الطبري ٤/٢٢٦ ٠

(٢) ابن اسحاق ، فتوح مصر ، صفحة ٥٤ ، الواقدي ، فتوح الشام ٢/٥٧ ٠

(٣) اختلف في تاريخ قدوم عمر بن الخطاب الى الجابية ، فقد قيل أن قدومه اليها كان عند فتح بيت المقدس في سنة ست عشرة ، وقيل أنه قدم اليها في سنة سبع عشر ، وقيل أيضا انه قدم اليها في سنة ثمان عشرة ، والراجح أن عمر قدم الشام أربع مرات في سنة ست عشر ومرتين في سنة سبع عشر ولم يدخل الجابية في المرة الاولى ٠ (انظر ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها هامش رقم ـ ١ صفحة ٥٦) ٠

(٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٥٦ ٠

وعندما بلغت المقوقس أخبار توجه عمرو بن العاص الى مصر توجه الى المنطقة التي شغلتها فيما بعد مدينة الفسطاط وأخذ يجهز الجيوش(٥) والظاهر أن الروم قاموا بحفر خندق وجعلوا له أبوابا وبثوا في أفنيتها سكك الحديد (٦) ، ولكن العرب استطاعوا اجتياز ذلك الخندق فانسحب الروم ودخلوا الحصن الذي كان يعرف بحصن بابليون (٧) ، ويبدو أن فترة حصار الحصن قد طالت مما اضطر عمرو ان يطلب من الخليفة عمر امداده بالجند فأرسل اليه الزبير بن العوام (رضى الله عنه) في اثني عشر الفا من الجند (٨) .

وقذف عمرو بن العاص حصن بابليون بالمنجنيق ، وشدد في حصاره عليه حتى استطاع الزبير من اجتياح تحصينات الحصن ، ولما شعر الروم بدخول العرب الى الحصن هربوا ، وعندئذ طلب المقوقس من القائد عمرو بن العاص الصلح (٩) وكان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهدوا هذا الفتح (١٠) . (شكل ـ ١) .

---

(٥) المصدر السابق ، صفحة ٥٨ .

(٦) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٦٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٠٨/١ .

(٧) حصن بابليون ، ويسمى أيضا قصر الشمع ، وقد اختلف المؤرخون العرب في سبب تسميته بقصر الشمع ، اشار المقريزي في الخطط ٢٨٧/١ ، بانه سمي كذلك لان الفرس بنوه وجعلوا فيه بيت نار ، وكان له باب يقال له باب الشمع . ويرى ستانلي لين بول بأن بين رواة العرب من يقول أن حصنا آخر كان قائما قبله بستة قرون (انظر كتابه الموسوم The Story of Cairo وقد نقل المقريزي عن القضاعي بأنه كان في ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ، ويشير المقريزي في الخطط ، ٢٨٧/١ ـ ٢٨٨ ،بأن هذا صريح في أن قصر بابليون هو غير قصر الشمع ، فأن قصر الشمع يقع في داخل الفسطاط وقصر بابليون هذا عند القضاعي على الجبل المعروف بالشرف ، والشرف خارج الفسطاط ، وهو خلاف ما قاله ابن عبدالحكم في كتاب فتوح مصر .

(٨) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، صفحة ٦٢ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢١٥ .

(٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٦٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ١٠٨/١ .

(١٠) يورد ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر واخبارها في الصفحات ٩٢ـ٩٦ اسماء اصحاب رسول اللهمن قريش وغيرهم الذين شهدوا فتح مصر وشاركوا فيه .

(شكل - ٦)

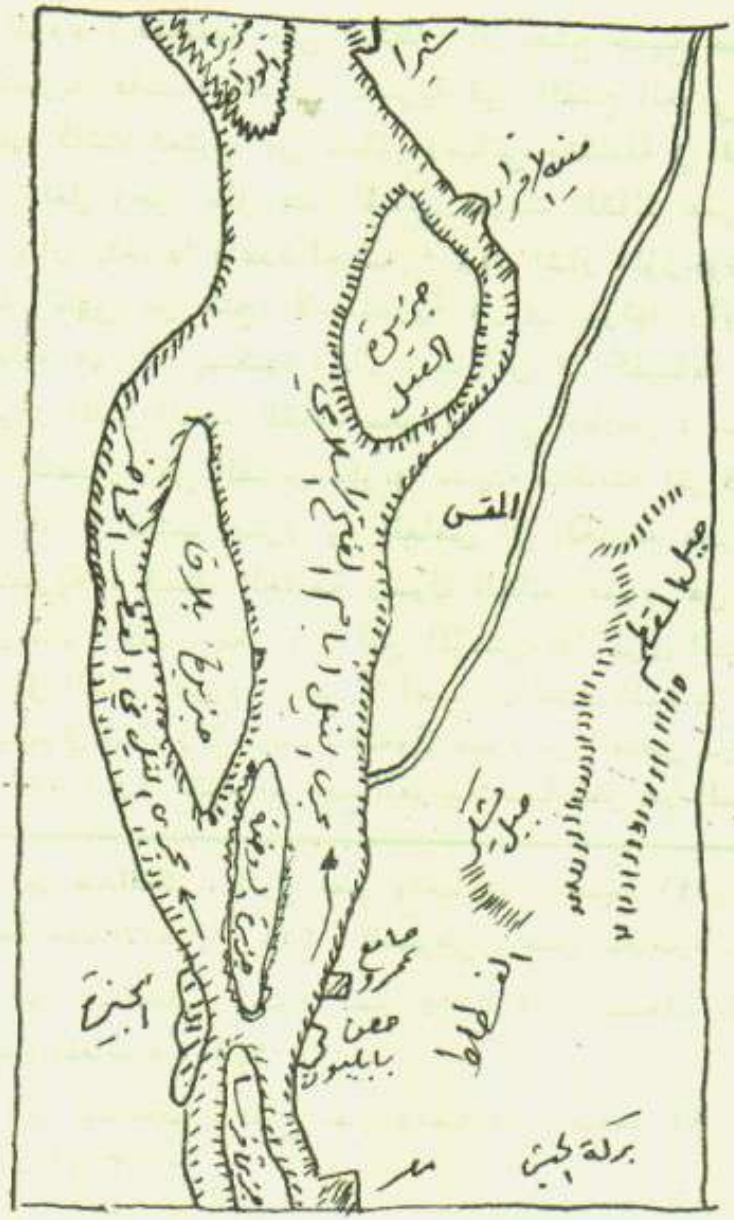

وبعد انتصار العرب واستيلائهم على حصن بابليون هرب الروم الى الاسكندرية وتحصنوا في القلاع العديدة المنتشرة على ساحل البحر الابيض المتوسط · وعزم القائد عمرو على متابعة الروم الى الاسكندرية لقتالهم ، فأمر بفسطاطه أن ينزع ، وتشير المراجع العربية ، فاذا فيه حمام قد فرخ ، فقال عمرو بن العاص ، لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو ، وأوصى به صاحب الحصن (١١) ·

وحاصر عمرو الروم عدة أشهر وعقد القيادة لعبادة بن الصامت وولاه قتال الروم ، فقاتلهم حتى استطاع أن يفتح جميع حصونهم (١٢) ، كانت الاسكندرية عاصمة الديار المصرية قبل الفتح العربي الاسلامي ، ولا ريب فانها كانت تحتوي على عمائر ومباني متكاملة في غاية الروعة والضخامة ، ولعل وجود مثل هذه المباني شجعت القائد عمرو بان يفكر في سكناها ، وأن يتخذها قاعدة لجيشه · وقد أشار المؤرخون العرب بأن عمرو عندما انتهى من فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وأبنيتها جاهزة للسكن والاقامة هم· أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيناها (١٣) ، وهذا يذكرنا بالقرار الذي اتخذه القائد سعد بن ابي وقاص في سكنى المدائن بالعراق بعد انتصاره على الفرس لكونها مدينة متكاملة المرافق العمرانية والاجتماعية (١٤) · فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر يستأذنه في سكنى الاسكندرية ، فسأل الخليفة رسول القائد عمرو هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل ، فكتب الخليفة عمر الى القائد عمرو : اني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط (١٥) · ولا تقدم المراجع العربية سببا آخر غير السبب المذكور

---

(١١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٢/٤ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣١/١ ·

(١٢) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحات ٧٤ و ٧٩ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١١٩/١ ·

(١٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣٠/١ ·

(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحة ٢٧٥ ·

(١٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١٣٠/١ ·

مكتبة قسم اللغة العربية
كلية الآداب

في روايتي ابن عبدالحكم والسيوطي (١٦) . وامتثل عمرو لاوامر الخليفة عمر فعاد الى موضع الفسطاط حيث ترك خيمته .

موضـــع الفســـطاط

يبدو ان القائد عمرو لم يبذل جهدا في اختيار الموضع الذي يبني فيه المدينة ، وانما قرر اقامة المباني وتوزيع الخطط في نفس المكان الذي أقام المسلمون المحاصرون لحصن بابليون معسكراتهم حوله أثناء فترة الحصار ، ولم يتردد القائد عمرو في اختيار هذا المكان موضعا للمدينة الجديدة (١٧) .

وفي وسعنا أن ندرك أن القائد عمرو قد اطمأن الى ما يوفره هذا الموضع من يسر في الحصول على مطالب الحياة اليومية ، من ماء وزرع وغلال ، للجند المجاهدين ، وما يصطحبون من خيول .

واذا أردنا ان نحدد موضع الفسطاط ، بعد أن مضى على انشائها مئات السنين ، واندثرت معظم معالمها ، فانه ينبغي لنا ان نحدد أولا موضع الحصن الذي حاصره العرب حتى يسهل علينا معرفة الموضع الذي اختاره عمرو بن العاص مكانا لمدينته .

افاد ابن دقماق بأن مباني المنطقة التي فتحها عمرو كانت منذ قديم الزمان متصلة بمباني عين شمس (١٨) . وعين شمس كانت قديما تدعى « هليوبوليس » واسمها المقدس باللغة العربية « اون » وكانت تسمى باللغة الدارجة "Per-Ra" وتعني مدينة الشمس . وكان في جـــوار هليوبوليس عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها عليها(١٩) .

---

(١٦) روى ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر صفحة ٩١ ، ونقل عنه السيوطي في حسن المحاضرة ، الجزء الاول صفحات ١٣٠ـ١٣١ ، أن عمر بن الخطاب كتب الى سعد بن وبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل الاسكندرية الا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت ، فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة ، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل البصرة ، وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط .

(١٧) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦١ـ٦٢ ؛ المقريزي الخطط ١/٢٦٤ .

(١٨) الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٣ .

(١٩) ارتور روفيه L'Egypte à Petites Journées صفحـــات ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

ولم يكن باقيا من مجدها القديم عندما قدم العرب الا أسوار مهدمة وتماثيل لابي الهول نصفها مدفون في الارض (٢٠) .

وكتب ابن سعيد عن عين شمس أنها كانت في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط (٢١) ، ومعنى ذلك انه كان يطلق أسم عين شمس على موقعها الحقيقي وما يليه من الاماكن الى بابليون وحصنها (٢٢) .

وقد افاد الطبري أن معسكر الروم كان في موضع عين شمس عند مقدم عمرو والزبير فقال : « وقصد عمرو والزبير لعين شمس وبها جمعهم » (٢٣)، وقد أكد المقريزي ذلك في قوله : « نازل عين شمس ، وكان بها جمع القوم حتى فتحها » (٢٤) .

ومن المؤكد أن كلا من الطبري والمقريزي يريد بقول : « عين شمس » هنا حصن بابليون ، اي قصر الشمع ، لانه هو الذي كان به وقتئذ جمع القوم ، والمقصود بهم الروم (٢٥) .

وقد حدد ابن عبدالحكم في رواية له موضع التقاء العرب بالروم فقال : جاء رجل الى عمرو فقال : اندب معي خيلا حتى آتي من ورائهم عند القتال ، فأخرج معه عمرو خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة ، فساروا من وراء الجبل حتى وصلوا مغار بني وائل قبل الصبح ، وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبثوا في أفنيتها حسك الحديد ، فالتقاهم القوم حين أصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن (٢٦) .

---

(٢٠) بتلر ، فتح العرب لمصر ، صفحات ٢٠٠ـ٢٠١ .

(٢١) الانتصار ، ٤٤/٥ .

(٢٢) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٤ .

(٢٣) الطبري ، ٢٢٨/٤ ـ ٢٢٩ .

(٢٤) الخطط ، ٢٣٠/١ .

(٢٥) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٤ .

(٢٦) فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٥٩ .

واذا تحرينا عن مغار بني وائل ، فأن المقريزي يذكر عن خطة بني وائل بأن موضعها كان « من سفح الشرق ، المعروف بالرصد الى خطة حولان (٢٧) . فهي بذلك لا تخرج عن المنطقة الواقعة في الجنوب من قصر الشمع (٢٨) . وهرب من نجا من جند الروم الى حصن بابليون وأغلقوا عليهم الابواب » (٢٩) .

ويشير المقريزي في أحدى الروايات الى بوابة من بوابات هذا الحصن فيقول : « وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد » (٣٠) .

وتشير النصوص التاريخية بأن موضع الفسطاط قبل تأسيس المدينة ، وفي اثناء الفتح العربي ، كان جنانا وفضاء وحدائق وكروماً ، تحف بالحصن (٣١) . ويحدد ابن دقماق والمقريزي هذا الموضع بدقة فيشيران بأنه ينحصر بين نهر النيل وبين الجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ، وليس في هذا الموضع من البناء سوى ذلك الذي كان يعرف في عهد المقريزي بقصر الشمع (٣٢) (انظر الشكل رقم ـ ٢) .

أما أصل كلمة « فسطاط » فأن معظم المؤرخين واللغويين العرب يتفقون بأن المدينة سميت بالفسطاط نسبة الى خيمة القائد عمرو بن العاص (٣٣) .

---

(٢٧) الخطط ، ١/٢٩٨ .

(٢٨) محمود عكوش ، مصر في عهد الاسلام ، صفحة ٥٧ .

(٢٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٦٠ .

(٣٠) الخطط ، ١/٢٨٦ .

(٣١) أورد المقريزي في « الخطط » ٢/٢٤٦ ، وابن دقماق في « الانتصار لواسطة عقد الامصار » ٤/٦١ ـ ٦٢ ، بأنه لما اجمع عمرو بن العاص على حصار الحصن نظر قسيبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن فعرج اليها مع اهله وعبيده فنزل بها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم للحصن حتى فتحه الله عليهم .

(٣٢) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦١ـ٦٢ ؛ المقريزي الخطط ، ١/٢٨٦ . ويبدو أن هناك في موضع الفسطاط في عهد الفتح العربي بعض البيوت والقصور الرومانية قام عمرو بن العاص بتقسيمها على افراد من القبائل (انظر ابن دقماق ، الانتصار ٤/٣) .

(٣٣) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩١ ، ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٢ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٣٠ـ٣٣١ .

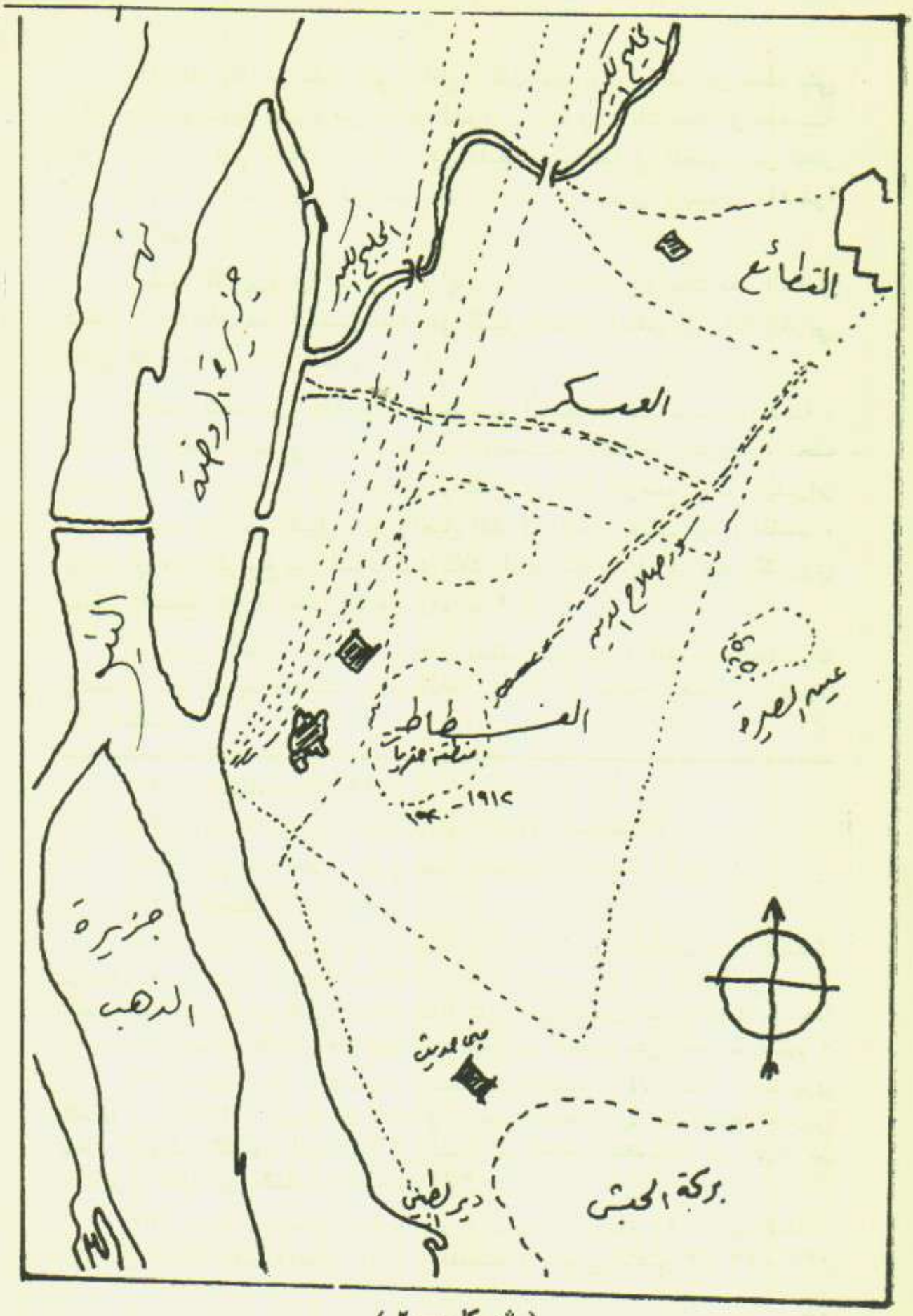
القطائع
العسكر
جزيرة الروضة
النيل
الفسطاط
مدينة عمرو
١٩١٧
جزيرة الذهب
بركة الحبش
دير الطين

(شكل - ٢)

وكتب القلقشندي بأنه يقال في الفسطاط ، فستاط بأبدال الطاء الاولى تاء وفساط (٣٤) .

وعندما عزم عمرو على سكنى الفسطاط واقامة المنشآت فيها ، ولي على اختطاط المدينة وانزال الناس فيها معاوية بن حديج التجيبي ، وشريك بن سمي القطيفي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني وحيـــويل بن ناشرة المعافري (٣٥) .

جامع عمرو بن العاص

وكما فعل عتبة بن غزوان وسعد بن ابي وقاص عندما أسسا مدينتي البصرة والكوفة حيث بدءا تخطيط المدينتين بتأسيس المسجد فيهما ، فأن عمرو بن العاص اهتم أيضا ببناء المسجد ، واختار موضعه في مكان تحيط به حدائق واشجار الكروم (٣٦) .

ويبدو أن المسجد الذي بناه عمرو كان صغيرا ، اذ يبلغ طول جدار القبلة فيه (الجدار الجنوبي الشرقي) والجدار المقابل له (الجـــدار الشمالي الغربي) خمسين ذراعا (حوالي ٢٥ مترا) ، وطول الجداران الاخران ثلاثين ذراعا (حوالي ١٥ مترا) (٣٧) .

ويستنتج الدكتور فريد شافعي بأن هذه المساحة كلها كانت على هيئة ظلة تقوم فيها أعمدة من جذوع النخل أو من الحجر او الآجر او اللبن ، وأن السقف بسيطا يتكون من مدادات من الخشب وسعف النخيل كما انه كان منخفضا (٣٨) .

---

(٣٤) صبح الاعشى ، ٣/٣٢٩ .

(٣٥) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ١/١٣١ .

(٣٦) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ٩٢ ، السيوطي ، حســـن المحاضرة ١/١٣٢ .

(٣٨) ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦٢ ؛ المقريزي الخطط ٢/٢٤٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ٤/٢٦٥ .

(٣٨) العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٢ .

وتشير بعض المراجع العربية ان ثمانين رجلا من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقفوا على قبلته ، منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وابو الدرداء وابو ذر الغفاري وابو بصرة الغفاري وغيرهم (٣٩) .

وكتب القلقشندي عن القضاعي ان محراب مسجد عمرو كان منحرفا نحو الشرق وقد قام قرة بن شريك بتصحيح اتجاهها عندما هدم المسجد وبناه مجددا (٤٠) .

ولم يكن للمسجد عند التأسيس محراب مجوف ، بل كانت هناك عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان في واجهته الشمالية ، وبابان في واجهته الغربية ، وبابان في الواجهة الشرقية يقابلان دار عمرو بن العاص ، وكان يفصل بينه وبين دار عمرو طريق من سبعة أذرع (٤١) .

وقد اتخـــذ عمرو بن العاص له منبرا في هـــذا المسجد ليخطب عليه ، فكتب اليه الخليفة عمر بن الخطاب معترضا على اتخاذه للمنبر(٤٢) فكســـره (٤٣) .

وقد أدخلت على مسجد عمرو خلال العصور التاريخية المختلفـــة زيادات كثيرة حتى اصبحت مساحته اضعاف مساحته الاولى عند التأسيس، ولم يبق في الوقت الحاضر من المسجد الاول الذي أسسه عمرو الا بقعة من الارض تقع في رواق القبلة في النصف الشمالي من المسجد .

---

(٣٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ و ٣٤٣ ؛ ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة ١/٦٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ٤/٢٦٥ .

(٤٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤٣ .

(٤١) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤٣ ؛ ابو المحاسن ، النجـــوم الزاهرة ١/٦٧ .

(٤٢) يشير ابن عبدالحكم في فتوح مصر صفحة ٩٢ : بان الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص « اما بعد فانه بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين أوما بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون تحت عقبيك فعزمت عليك لما كسرته . » ينظر القلقشندي ، صبح الاعشى ١/٣٤١ .

(٤٣) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ .

وأول من زاد في المسجد مسلمة بن مخلد الانصاري في سنة ثلاث وخمسين للهجرة حين كان أميرا على مصر من قبل معاوية بن ابي سفيان (٤٤) .

وفي سنة سبع وسبعين للهجرة هدم عبدالعزيز بن مروان الجامع وبناه مجددا (٤٥) .

وفي سنة تسعين للهجرة كتب الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الى قرة بن شريك واليه على مصر فهدمه كله وبناه مجددا وزوقه وذهب رؤس الاعمدة ، وقبل اتمام البناء حول قرة المنبر الى قيسارية العسل فكان الناس يؤدون فيها الصلاة في الايام كما يؤدون فيها صلاة أيام الجمع حتى فرغ من بنائه (٤٦) .

وجعل قرة بن شريك للمسجد محرابا مجوفا تقليدا لما عمل عمر بن عبدالعزيز في محراب مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة ، كما أحدث فيه المقصورة (٤٧) .

ثم زاد موسى بن عيسى في سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة في مؤخرته (٤٨) .

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين للهجرة ، زاد عبدالله بن طاهر والي مصر في عهد الخليفة المأمون في عرض الجامع (٤٩) (من الناحية الجنوبية الغربية) .

---

(٤٤) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٣١ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ١/١٣٣ .

(٤٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٣١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ١/١٣٣ .

(٤٦) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٣١ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ١/١٣٣ .

(٤٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ٣/٣٤٢ ؛ ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٦٥ ؛ المقريزي ، الخطط ٣/٢٤٩ .

(٤٨) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٣٢ .

(٤٩) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٣٢ .

ولم تضف الى مسجد عمرو أية مساحة بعد زيادة عبدالله بن طاهر ، وتحد المساحة الجديدة المضافة على يد عبدالله الجدران الخارجية الموجودة في الوقت الحاضر ، فأصبح طول جدار القبلة ، والجدار المقابل له اي الشمالي الغربي نحو ١٢٠ مترا ، وطول الجدارين الاخرين نحو ١٢٠ مترا (٥٠) . وقد زاد عبدالله بن طاهر في عرض المسجد في سنة ٢١٣ للهجرة ، وادخل فيه دار الرمل كلها الا ما بقى منها من دار الضرب ، ودخلت فيه دار رمانة وغيرها من بعض الخطط (٥١) . وكان لجامع عمرو أيام عبدالله بن طاهر ١٣ بابا ، منها ثلاثة في الجدار الشمالي الغربي المواجهة للميدان ، واربعة في الجدار الجنوبي الغربي ، وفي الشمال الشرقي خمسة أبواب ، وباب واحد في جدار القبلة لخطيب المسجد (٥٢) (شكل ـ ٣) .

وقد وصف الرحالة الفارسي « ناصر خسرو » المسجد عند قدومه الى مصر واقامته فيها بين عامي٤٣٩ـ٤٤١ هجرية/١٠٤٧ـ١٠٤٩ميلادية ويبدو انه بالغ كثيرا في وصفه لهذا المسجد كعادته ، وقد قال : « ... هذا المسجد قائم على اربعمائة عمود من الرخام ، والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الابيض التي كتب عليها القرآن بخط جميل ، ويحيط بالمسجد من جهاته الاربعة الاسواق ، وعليها تفتح أبوابه ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون » (٥٣) .

وقال أيضا في وصفه : « ... يوقدون في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل ... ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصر الجميل الملون بعضها فوق بعض ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل » (٥٤) .

---

(٥٠) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٧ .

(٥١) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صفحة ١٧٩ .

(٥٢) ابن دقماق ، ٤/٥٩ـ٦٠ .

(٥٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ترجمة يحي الخشاب ، صفحة ١٠٢ .

(٥٤) المرجع السابق .

(شكل - ٢)

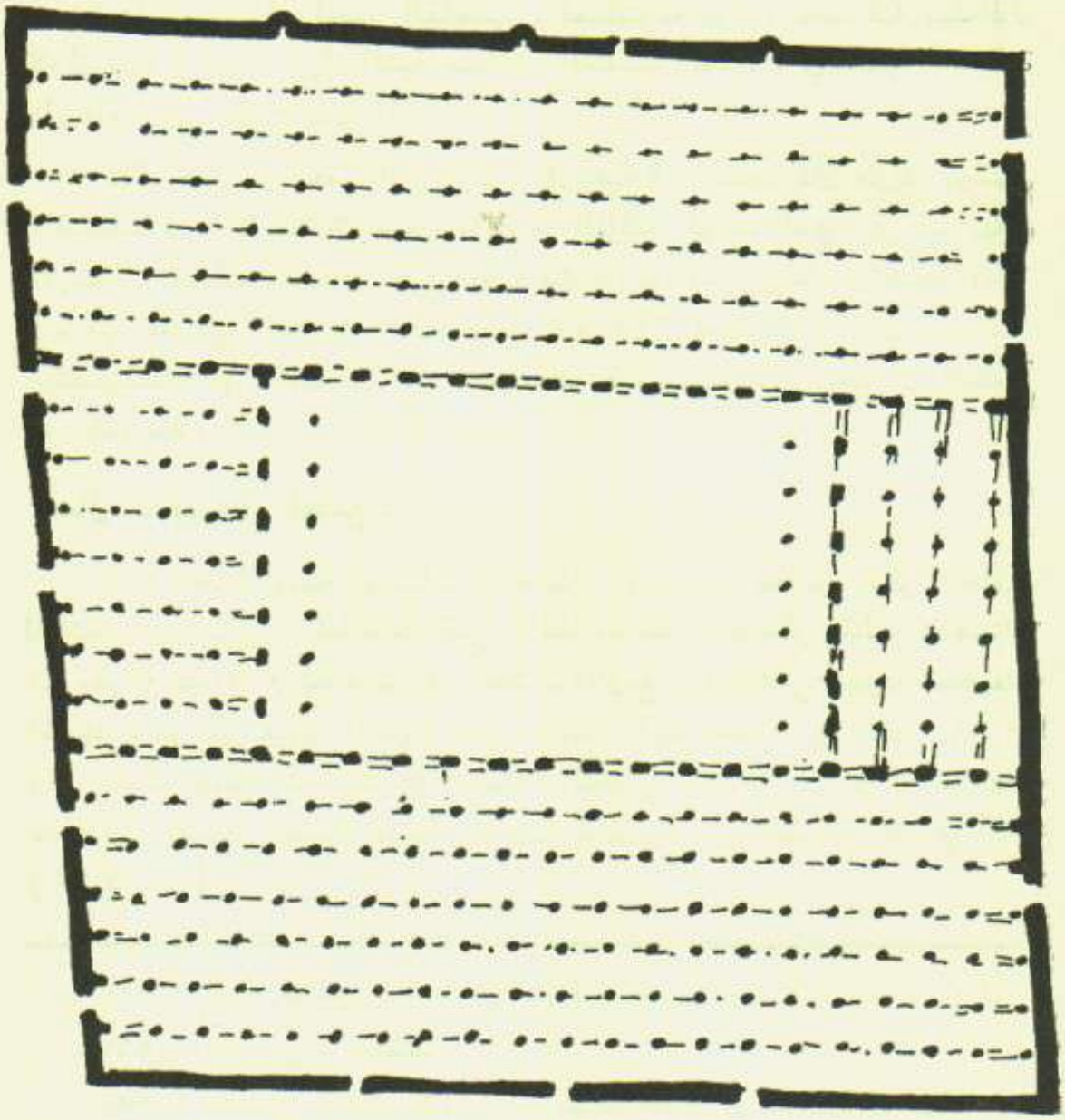

الفسطاط ، جامع عمرو بن العاص
بعد التوسيع ٢١٢هـ ٨٢٧م

اعمال التجديد والاصلاحات بعد عبدالله بن طاهر :

لقد تعددت أعمال التعمير والتجديد بعد عصر عبدالله بن طاهر حيث اضيفت حول المسجد عدة زيادات ، وشبت الحرائق فيه أكثر من مرة في عصر ابن طولون وابنه خمارويه ، وقد اعيدت عمارته ، كما عمر وجدد عدة مرات في العصر الفاطمي ، فعملت له فوارة تحت قبة بيت المال لاول مرة ، وزاد حول القبة مساقف الخشب ونصب في الفوارة حباب الرخام التي يخرج منها الماء (٥٥) .

والواضح من بعض الروايات التاريخية أن المسجد كان مزينا برسوم الفسيفساء . الا اننا لا نعرف على وجه التأكيد الوقت الذي زين فيه بهذه الرسوم ، غير أن المقريزي يشير انها قلعت من اروقته وبيض مواضعها (٥٦) . ويذكر المقدسي الذي زار الجامع في عام ٣٧٥ هجرية انه رأى رسوما بالفسيفساء على الجدران (٥٧) ، وكذلك يذكر ياقوت ان جدران الجامع قد جدد طلاؤها في سنة ٣٨٧ هجرية (٥٨) .

اعمال التنقيب في الجامع :

وقد اعدت جملة دراسات وابحاث ، واجريت حفائر داخل الجامع للكشف عن اساسات البائكات التي كانت بداخله ، وامكن بذلك الاهتداء الى معرفة عددها واتجاهاتها في الظلات الاربع ، وبالتالي معرفة تخطيط المسجد وهو على هيئته الاخيرة التي أوصله اليها عبدالله بن طاهر (٥٩) . وقد بقيت بضعة شبابيك في الطرف الجنوبي الغربي لا تزال تحتفظ بأطارات خشبية أصلية عليها زخارف محفورة من الطراز الاموي (٦٠) (الشكل ـ ٤) .

---

(٥٥) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٧٦ .

(٥٦) المقريزي ، الخطط ، ٢/٢٥٠ .

(٥٧) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، صفحات ١٩٨ـ١٩٩ .

(٥٨) ياقوت ، معجم البلدان ٧/٨٠٩ .

(٥٩) فريد شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، صفحة ٣٦٧ .

(٦٠) Creswell, E.M.A., 11, PLs. 42 and e, 43 a-d, Figs. 161, 164; Short Account of E.M.A., Figs., 48, 49.

(شكل - ٤)

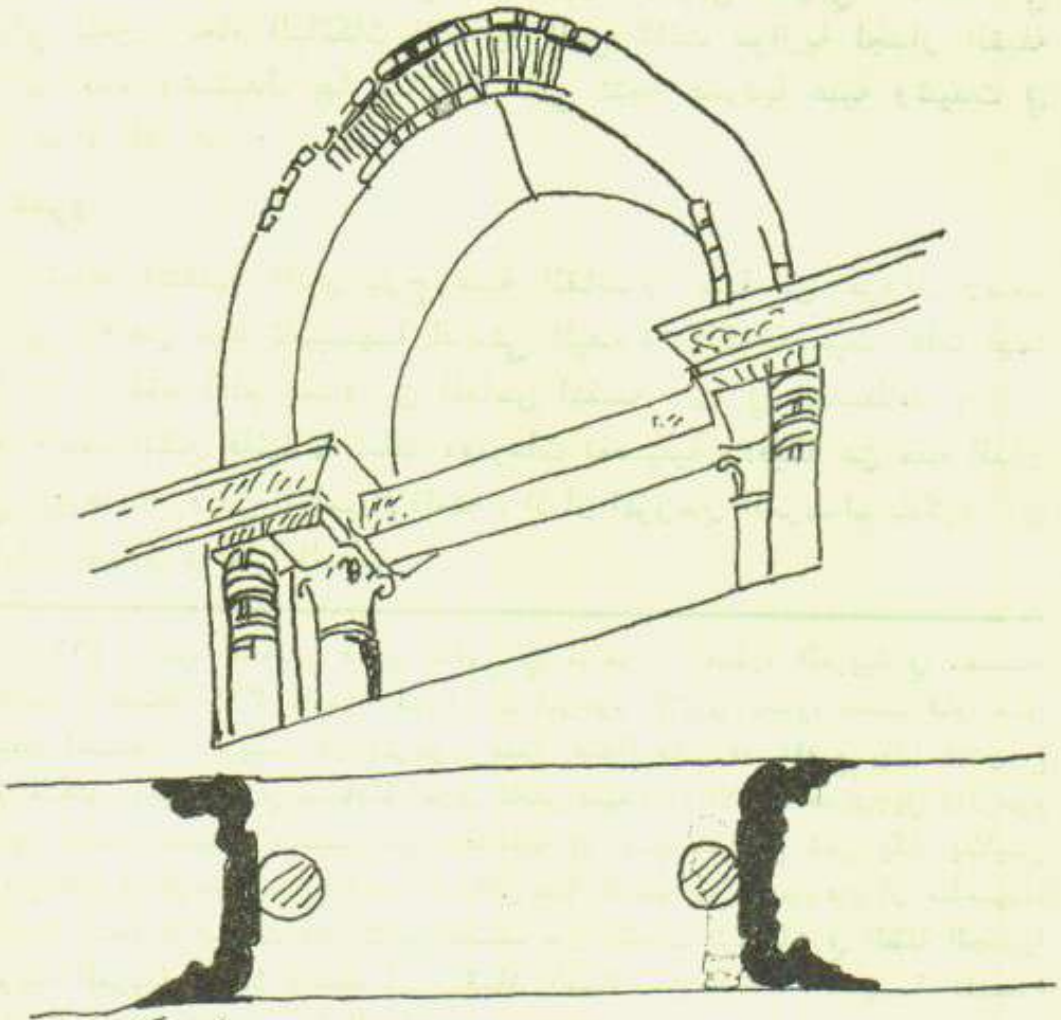

جامع عمرو بن العاص : سقف وأعمدة رخامية من نواحيه
عن كتاب العمارة العربية في مصر الإسلامية
ص ٣٦٤

كل تلك البقايا المختفية والظاهرة قد ساعدت على تكوين فكرة تقرب كثيرا من الحقيقة عن تخطيط المسجد الاصلي وتكوينه المعماري(٦١) . وقد بقيت بعض الاعمدة الرخامية القصيرة ملتصقة بجوانب الشبابيك ، ولا زالت بعض حنيات غائرة باقية في الجزء العلوي من الوجه الخارجي لذلك القطاع من الجدار ، وتغطي تلك الحنيات طواقي ذات ضلوع وقنوات وفصوص تخرج من مركز الطاقية على هيئة مروحية (٦٢) ، كذلك بقيت نهايات البائكات في ظلة القبلة في الجدارين الجنوبي الغربي ، والشمالي الشرقي لتعين اتجاه البائكات الاصلية التي كانت موازية لجدار القبلة قبل ان تهدم وتستبدل بها البائكات التي تتجه عمودية عليه وشيدت في عصر مراد بك (٦٣) .

دار عمرو

اتباعا للتقليد الذي درج عليه القائدان عتبة بن غزوان وسعد بن ابي وقاص عند تأسيسهما لمدينتي البصرة والكوفة حيث اقاما لهما دارا (٦٤) ، فقد أقام عمرو بن العاص لنفسه دارا في الفسطاط (٦٥) ، ومع الاسف الكبير فأننا لا نملك معلومات تفصيلية ودقيقة عن هذه الدار التي شيدها عمرو بن العاص لاقامته ، اذ أن المؤرخين العرب لم يذكروا اي روايات تفيدنا في هذا السبيل .

---

(٦١) كتب الدكتور فريد شافعي في مؤلفه « العمارة العربية في مصر الاسلامية » صفحة ٣٦٩ هامش رقم ٢ بأن المرحوم الاثري محمود محمد قام بعمل تخطيط للمسجد ، ويبدو أن المرحوم حسن عبدالوهاب قد اقتنع بهذا المشروع وقام الدكتور احمد فكري بمحاولة اخرى ناقش فيها اراء الاستاذ كريزويل والمرحوم الاثري محمود أحمد ، وخلص من مناقشاته الى عمل مشروع اخر يكاد يطابق مشروع الاثري المرحوم محمود احمد . ولكن مما نلاحظه على المشروعين أن صاحبيهما قد أهملا تماما ما أسفرت عنه نتائج الكشف عن اساسات البائكات في الظلة الجانبية الجنوبية الغربية وجعلا وصف ابن دقماق أصدق من البقايا المادية المجسمة للاساسات والتي كشفت عنها الحفائر .

(٦٢) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحات ٣٦٨_٣٦٩ .

(٦٣) المصدر السابق صفحة ٣٦٩ .

(٤٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، صفحات ٣٣٩ و ٣٤٨ .

(٦٥) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر واخبارها ، صفحة ٩٧ ، ابن دقماق ، الأنتصار لواسطة عقد الامصار ، ٤/٢ .

والظاهر انه كان للقائد عمرو بن العاص داران ، الاولى وتدعى بالدار الصغرى حيث كان موضع فسطاطه الذي ضربه في موضع الفسطاط ثم تركه عندما غادر الى الاسكندرية(٦٦) ، والثانية وصفت بالدار الكبرى وهي بحذاء الدار الصغرى ومسجده(٦٧) ، ويبدو أن موضع دار عمرو الصغرى كان على بعد نحو (٧) اذرع (حوالي ٤ امتار) من المسجد وفي الجهة الشمالية منه(٦٨) ٠

واقام عمرو بن العاص دارا للخليفة عمر بن الخطاب عند المسجد ، وكتب عمرو للخليفة يعلمه بأنه قد اختط له دارا ، الا أن الخليفة عمر اعتذر عن قبول هذه الدار وأمره أن يجعلها سوقا للمسلمين وعرفت هذه الدار باسم دار البركة(٦٩) ٠

خطط الفسـطاط :

سبق وأن ذكرنا بأنه عندما عزم عمرو على سكنى الفسطاط ولى على اختطاط المدينة وانزال الناس فيها معاوية بن حديج التجيبي ، وشريك بن سمي القطيفي ، وعمرو بن مخزوم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري ، فوزعوا الاراضي حول الجامع على جماعات القبائل ، فأختط هؤلاء الخطط ، وشيدوا الدور ، وسميت هذه الخطط بأسماء القبائل التي اختطتها ، أو باسم صاحبها الذي اختطها(٧٠) ٠

---

(٦٦) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٧ وقد جاء في روايته « فاختط عمرو بن العاص داره التي هي له اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الاخرى اللاصقة الى جنبها » انظر ابن دقماق ، نفس المصدر ، ٣/٤ ٠

(٦٧) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٧ ، ابن دقماق ، نفس المصدر ، ٣/٤ ٠ وقد وردت اشارة في كتاب فتوح مصر لابن عبدالحكم صفحة ٩٧ حول الدار الكبرى بأن « عبدالله بن عمرو بن العاص اختط هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد ، وهو الذي بناها هذا البناء ، وبنى فيها قصرا على تربيع الكعبة الاولى » وجاء في كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق ٩/٤ بخصوص قصر عبدالله بن عمرو فقال « المكان المعروف بين القصرين بالفسطاط هو ما بين دار عمرو الصغرى والموضع المقابل لخوخة الاسطبل ٠ وانما قيل لذلك بين القصرين ، ويعني أحدهما قصر عبدالله بن عمرو بن العاص ، وذلك انه بني في الدار الصغرى قصرا على تربيع الكعبة الاولى » ٠

(٦٨) فريد شافعي ، نفس المصدر ، صفحة ٣٥٣ ٠

(٦٩) ابن عبدالحكم ، نفس المصدر ، صفحة ٩٢ ٠

(٧٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣/٣٣٠ـ٣٣١ ٠

ونورد في أدناه أهم الخطط والدور التي نسبت الى القبائل والجماعات :

خطة اهل الراية : وهم جماعة من قريش والانصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وجرش من بني كنانة وليث بن بكر . ولم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان ، فجعل لهم عمرو بن العاص راية لم ينسبها لاحد وقال يكون وقوفكم تحتها ، فكانت لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها فعرفوا بأهل الراية ، وانفردوا بخطة وحدهم ، وخطتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

ومن الخطط ، خطة مهرة ، وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ابن مالك سن حمير ، من قبائل اليمن .

ومن الخطط ، خطة تجيب ، وهم بنو عدي ، وسعد ابني الاشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة ، وتجيب اسم امهما عرفت القبيلة بها .

ومن الخطط ، خطط لخم ، وهي ثلاث ، الاولى بنو لخم بن عدي بن مرة بن أدد ، ومن خالطهم من جذام ، والثانية بنو عبد ربة بن عمرو بن الحرث بن وائل بن راشدة ابن لخم ، والثالثة بنو راشدة بن أذب بن جزيلة بن لخم .

وخطط اللفيف ، وهم جماعة من القبائل تسارعوا الى مراكب الروم حين بلغ عمرا قدومهم الاسكندرية عند فتحها ، فقال لهم عمرو وقد استكثرهم : انكم لكما قال الله « فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا » فسموا اللفيف من يومئذ .

ومنها خطط أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الاسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد اخذوا منازلهم ، فتحاكموا الى معاوية بن حديج الذي جعله عمرو على الخطط فقال لهم : اني ارى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

ومنها خطط غافق ، وهم بنو غافق بن الحرث بن عك بن عدنان بن عبدالله بن الازد .

ومنها خطط خولان ، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب .

ومنها خطط الفارسيين ، وهم بقايا جند باذان ، عامل كسرى ، ملك الفرس على اليمن ·

ومنها خطط مذحج ، وهو بنو مالك بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان بن عبد الله ·

ومنها خطة يحصب ، وهم بنو يحصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث بن حمير ·

ومنها خطة رعين ، وهم بنو رعين بن زيد بن سهل بن يعفر بن مرة بن أدد ·

ومنها خطة بني الكلاع ـ وهو الكلاع بن شرحبيل بن سعد بن حمير ·

ومنها خطة المعافر ، وهم بنو المعافر بن يعفر بن مرة بن أدد ·

ومنها خطط سبأ ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معن بن سبأ ·

ومنها خطة بني وائل ، وهو وائل بن زيد مناة بن افصى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدي ·

ومنها خطة الحمراوات وهي ثلاث ، سميت بذلك لنزول الروم بها ، وهم حمر الالوان :

الاولى ـ الحمراء الدنيا ، وبها خطة بلى ، وهم بنو بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الا من كان منهم في اهل الراية ، وخطة ثراد من الازد ، وخطة فهم ، وهم بنو فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان ، وخطة بني بحر بن سوادة من الازد ·

ـ الثانية ـ الحمراء الوسطى ، وبها خطة بني نبه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ، وخطة هذيل ، وهم بنو هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، وخطة بني سلامان من الازد ·

الثالثة ـ الحمراء القصوى ، وهي خطة بني الازرق من الروم ، وحضروا الفتح منهم اربعمائة رجل ، وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم ، واليهم ينسب جبل يشكر الذي بنى عليه جامع أحمد بن طولون[٧١] ·

---

(٧١) المصدر السابق ٣/٣٣١ـ٣٣٣ ·

مراجـع ومصـادر البحـث

ابن دقماق : (ابراهيم بن محمد ايـمر العلائي)

الانتصار لواسطة عقد الامصار ، الجزآن الرابع والخامس ، طبـع المطبعة الاميرية ، القاهرة سنة ١٣٠٩هـ ـ ١٨٩٢م ٠

ابن عبدالحكم : (ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله)

فتوح مصر واخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ٠

البلاذري : (الامام ابو العباس احمد بن يحي بن جابر)

فتوح البلدان ، طبع ليدن ، ١٨٦٦م ٠

الطبري : (محمد بن جرير)

تأريخ الرسل والملوك ، ليدن ، ١٨٧٩ـ١٩٠١م ٠

القلقشندي : (ابو العباس احمد)

صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩٦٣م ٠

السيوطي : (جلال‌الدين عبدالرحمن)

حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضـل ابراهيم ، الجزء الاول ، القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م ٠

المسعودي : (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، باريس ١٨٦١ـ١٨٧٧م ٠

المقدسي : (ابو عبدالله محمد بن احمد)

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٨٧٧ ٠

ابو المحاسن : (جمال‌الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٠ طبع الكتب المصرية ، القاهـرة ١٩٣٩ ـ ١٩٦٠م ٠

ياقوت : (شهاب‌الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغـدادي) معجم البلدان ، لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٩٧٣م ٠